نشأة الخلية الأولى للضباط الأحرار

سبب انفصال الضباط الأحرار عن الإخوان

لم يكن من الممكن عودة الضباط إلى التنظيم السري للإخوان المسلمين بعد حل جماعتهم والقبض على قادتهم لذا عمد عبد الناصر إلى تكوين تنظيم آخر بديل عن التنظيم السابق واختار أهم قادته منه وعن أسباب انفصال تنظيم الضباط الأحرار عن التنظيم السري للإخوان المسلمين يقول أحمد عادل كمال (أحد أعضاء النظام الخاص الأوائل التابع للإخوان المسلمين) : " كان الصاغ محمود لبيب هو سنارة الإخوان التي تدلت بين الضباط في الجيش فاستطاع أن يجتذب بعضاً منهم ، وكانت أكبر الرتب التي أقبلت إلى الأخوان عبد المنعم عبد الرءوف، وجمال عبد الناصر ، وأبو المكارم عبد الحي ، وكمال الدين حسين ، وحسين حمودة . ونظراً لحساسية وضع الضباط فقد رُئي ألا يكون نشاطهم في شُعب الإخوان بالمجال العام حتى لا يكونوا عرضة للمحاكمات العسكرية والفصل والقوانين التي تحظر على الضباط الاشتغال بالسياسة أو الانتماء إلى منظمات سياسية ، لذلك تقرر إلحاقهم – خلافاً للمألوف – بالنظام الخاص ، وتم اتصالهم بعبد الرحمن السندي ، وخصص الشيخ سيد سابق ليعطيهم دروساً في الفقه ويثقفهم في الإسلام عوضاً لهم عن حضورهم المحاضرات العامة .

واشتعلت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وحوصرت قوة الفالوجا وفيها جمال عبد الناصر والكتيبة ١٣ مشاة ، واستطاع عبد الناصر أثناء ذلك الحصار أن يستميل

بعض الأنصار من العناصر الساخطة من المحصورين ثم ما لبثت قوة الفالوجا أن عادت إلى مصر بعد فك الحصار عنها عام ١٩٤٩ ، واستدعى إبراهيم عبد الهادي جمال عبد الناصر وأخبره أنه نما إلى علمه أنه على علاقة بالإخوان .. وحلف جمال ما بلغ الباشا ليس صحيحاً.

وحدث خلاف بين أعضاء الجيش المنتمين للتنظيم الإخوان الخاص فكان رأي جمال عبد الناصر يقول إن منهج الإخوان طريق طويل ولا يوصل إلى شيء فما جدوى أن نجمع الضباط في مجموعات لحفظ القرآن والحديث ودراسة السيرة إلخ ، وما ضرنا لو انضم إلينا ضابط وطني من غير دين الإسلام ، أ فنرفضه لذلك فنحرم جهده معنا ؟ وكان عبد المنعم عبد الرءوف يناقض جمالاً فيما ذهب إليه ، فنحن إخوان ومسلمون ونعمل لهذه الدعوة ونستهدف قيام دولة مسلمة ويتعين علينا ألا نزيغ عن أهدافنا ولا أن ننصرف عن التفقه في ديننا ، وكمال الدين حسين من وجهة نظر جمال عبد الناصر ، كما أن "أبو المكارم عبد الحي" من جهة نظر عبد المنعم عبد الرءوف . طلبوا عرض الخلاف على المرشد العام.

ويبدو أن المرشد العام الأستاذ الهضيبي قد وجد أنه أمام أمر واقع ، فهذه مجموعة تريد أن تتحلل من التزاماتها كإخوان وليس هناك بد من ذلك ، وليس في الإمكان إجبارهم على غير ذلك ... قال الأستاذ الهضيبي إنه ربما كان من الأصلح عدم وضع البيض كله في سلة واحدة ، فليستمر الإخوان في طريقهم وليستمر جمال في طريقه وكان هذا هو ما أراده جمال فأجاب أنه سوف يستمر صديقاً للإخوان " [1]

([1]) أحمد عادل كمال " النقط فوق الحروف ، الإخوان المسلمون والنظام الخاص " مرجع سابق ص ٣٠٠ – ٣٠٣ بتصرف .

أما ثروت عكاشة فيقول عن سبب الانفصال بين الإخوان وضباط الجيش : "بقينا معشر الضباط في خلايانا موصولين بجماعة الإخوان المسلمين ننشر الدعوة إلى الإصلاح إلى أن قامت حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨ فحالت أحوال القتال بيننا وبين سيرتنا الأولى مع التنظيم .. وكان تورط الإخوان المسلمين في أمور غامضة كالاغتيالات وأعمال العنف وما يجري مجراها قد نفرَّ خلايا الضباط منهم ودفعهم إلى اكتشاف حاجاتهم إلى تنظيم شامل لا يتقيد بمعتقد مذهبي ، بل تنظيم يضم تحت لوائه مواطني مصر ،على أي عقيدة كانوا وعلى أي مذهب سياسي عاشوا طالما أن هدفهم هو مصر الوطن الأم ، ومن هنا دبَّ الخلاف بيننا نحن معشر الضباط وبين المرحوم عبد المنعم عبد الرءوف الذي خلف محمود لبيب بعد وفاته فضلاً عن أنه كان يرى على العكس مما كنا نرى أن خلايا الضباط يجب أن تكون تابعة كلها لسلطان الإخوان المسلمين . فكان هذا باعثاً إلى إنشاء تنظيم الضباط الذي ضمَّ الأحرار منهم للسعي وراء تطهير البلاد من كل عبث "[1] والروايتان لا اختلاف بينهما إلا في إدانة ثروت عكاشة لأعمال العنف والاغتيالات التي قام بها الإخوان المسلمون وسبق أن قلنا أن هذه الاغتيالات السياسية كانت سمة هذا العصر لم يسلم منها أي تنظيم حتى الضباط الأحرار أنفسهم فقد حاولوا اغتيال حسين سري عامر وفشلت المحاولة وحاولوا القيام بعدة اغتيالات سياسية قبل القيام بالثورة مباشرة ولكن بسبب افتقارهم إلى سيارات كافية ينفذون بها الاغتيالات ألغيت المحاولة كما سيأتي بيانه في حينه ، وليس معنى هذا إقراري بأسلوب الاغتيالات السياسية كلا فقتل النفس التي حرم الله إلا

(1) ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " مرجع سابق ج ١ ص ٣٨ ،٣٩ .

بالحق من أكبر الكبائر وقد جاء في السنن : " لزوال الدنيا عند اللّه أهون من قتل مسلم". فالاختلاف في الرأي لا يوجب القتل إذ لا قتل إلا بحكم قضاء عادل ونزيه تنفذه السلطات المختصة.

كذلك تتميز رواية ثروت عكاشة بتأكيد تجمع ضباط الجيش بعد حرب فلسطين تحت قيادة عبد المنعم عبد الرءوف الذي خلف محمود لبيب في القيادة قبل تأسيس تنظيم الضباط الأحرار وانتخاب جمال عبد الناصر في يناير ١٩٥٠ رئيساً للجنة القيادة.

الخلية الأولى لتنظيم الضباط الأحرار

وعن نشأة الخلية الأولى لتنظيم الضباط الأحرار يقول خالد محيي الدين : "في الجلسة الأولى ، ومنذ أن احتوتنا غرفة الصالون في بيت عبد الناصر بكبري القبة تولى جمال القيادة دون عناء ودون قرار منا أو منه . كان الرتبة الأعلى هو "بكباشي" وكنا أقل منه رتبة ، أنا كنت" يوزباشي " وكمال الدين حسين كان "يوزباشي" ولكن أقدم مني ، صحيح أن عبد المنعم عبد الرءوف كان أقدم من جمال، لكن جمال كان صاحب الفكرة وصاحب الدعوة ، وكان دوماً ومنذ دخلنا معاً الإخوان المسلمين هو الرافض لفكرة احتوائنا داخل الإخوان ، والمدرك لأهمية وجود تنظيم مستقل لنا ... كنا نحن الخمسة موزعون على أسلحة : جمال مشاة ، عبد المنعم عبد الرءوف مشاة ، كمال الدين حسين مدفعية ، حسن إبراهيم طيران، وأنا (خالد محيي الدين) فرسان . كنا خمسة وأكد عبد الناصر أن عبد الحكيم عامر معنا وإن لم يحضر ، وقال إنه لا يخفي عنه شيء ... وتقابلت مع ثروت عكاشة وكان معي في الفرسان وقد وافق ثروت على الانضمام

obeikandi.com

لنا على الفور .. ثم اتصلت بجمال منصور وهو أيضاً من الفرسان وكنت أعرف قصة مجموعته القديمة فقال أنا أتصل بالمجموعة ونتفق على الانضمام إليكم ونعمل تنظيماً واحداً ، وترددت إزاء فكرة توحيد المجموعتين معاً ، وكنت أعرف أن جمال عبد الناصر هو أيضاً ضد هذه الفكرة ، وفعلاً قابلت جمال وعرضت عليه الأمر فرفض وقال : من يريد أن ينضم إلينا ينضم كفرد ، و إلا ستأتي المجموعات الأخرى كالحرس الحديدي ويطلبون منا الوحدة معنا وتبدأ خلافات داخلية ومشكلات وننتهي إلى الفشل . على أية حال استطعت أن أقنع جمال منصور بأن ينضم مع من يشاء إلينا، ولكن على أساس فردي.

وفعلاً انضم جمال منصور إلى مجموعتي وانضم معه نصير وكفافي من مجموعته القديمة .. وكانت اجتماعاتنا في الخلية الأولى التي أصبحت تسمى " لجنة القيادة " تتم أسبوعيّاً أو كل أسبوعين ، وكان كل منا يتحدث – دون إفصاح عن الأسماء– عن الاتصالات التي قام بها ومن تم تجنيده من الضباط ، وبعد عدة اجتماعات كان لدينا تنظيم.

بدأت مجموعة جمال منصور تثير نقاشات حامية حول ضرورة عمل شيء عاجل وسريع ، كانوا متحمسين ومتعجلين ، وتحت إلحاح مجموعة جمال قررنا إصدار أول منشور لنا. [1]

وقد أطلق على الخلية الأولى للضباط الأحرار اسم "اللجنة التأسيسية"، وتشكلت، كما سبق الإشارة، من خمسة ضباط، ذوي ميول سياسية مختلفة، مع أنهم بدءوا جميعاً في ساحة الإخوان المسلمين. ولم يكن قد أُطلق على هذه

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨١.

اللجنة اسم "الضباط الأحرار" بعد، كما أنه لم يكتمل الشكل التنظيمي إلا مع مطلع عام ١٩٥١، عندما زاد عدد أعضاء اللجنة التأسيسية. [1]

قصة المنشور الأول وتسمية الضباط الأحرار

يقول خالد محيي الدين عن أول منشور صدر عن الضباط الأحرار : " كنا في خريف ١٩٥٠ عندما قررنا أن نصدر منشورنا الأول ، وتحملت مسئولية إصداره أمام مجموعة القيادة ، كتب جمال منصور المسودة الأولى للمنشور وكان عنوانه " نداء وتحذير " وكان المنشور يحذر ضباط الجيش من أن ينساقوا إلى حرب أخرى دون استعداد ودون سلاح أو بأسلحة فاسدة ، وحذر المنشور الملك من التدخل لمنع استمرار التحقيق العادل في قضية الأسلحة الفاسدة ، وإلا فإن عرشه سوف يصبح مهدداً طالعت الصيغة المقترحة وأبديت بعض الملاحظات عليها، وبعد تعديلها أخذتها إلى جمال عبد الناصر الذي وافق عليها بتعديلات بسيطة . وكان جمال منصور قد اقترح أن نوقع المنشور باسم "الضباط الأحرار " ووافقت على الاسم ووافق عليه جمال عبد الناصر. "[2]

ورواية جمال منصور لا تختلف كثيراً عن رواية خالد محيي الدين عن نشأة الخلية الأولى وانضمام مجموعة جمال منصور إليها – لا تختلف الروايتان إلا اختلافاً يسيراً فيما يتعلق بالمنشور الأول.

يقول جمال منصور : " قمت بكتابة المنشور على ورقة واحدة بخطي ، وكان عن الأسلحة الفاسدة وموقف السلطات العليا من هذه القضية وحضر إليَّ كفافي

([1]) خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة " مقاتل من الصحراء " مرجع سابق الفصل الثالث " الضباط الأحرار ".

([١]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨٢ ، ٨٣.

في مصنع شقيقي سعد ، وذهبنا إلى منزل عبد الناصر في كبري القبة في الموعد المحدد ، وعندما دخلت المنزل وجدت عبد الناصر وبجانبه عبد المنعم عبد الرءوف يأكلان سندوتش جبنة بيضاء مع العيش البلدي .. أخرجت المنشور من جيبي وبدأ عبد الناصر في تصفحه مبدياً إعجابه وتقديره لكل ما جاء به ، وأشهد أنه لم يغير منه حرفاً ... كنا مجتمعين في شقة الزيتون وكان الحاضرون هم الصحابة سعد –كفافي – جمال ، وانضم إلينا خالد ودار الحديث حول أول منشور وما يجب علينا عمله للظهور به بمظهر جديد في الأسلوب ، وضرورة تغيير اسم الحركة من " ضباط الجيش" إلى اسم آخر وأخذ كل منا يضع اسما جديدا فمن قائل : " ضباط الثورة " ومن قائل : " ضباط الجيش الأحرار " ثم نطقنا معاً أنا وكفافي : " الضباط الأحرار " ثم انفض الاجتماع بعد أن فوَّض المجتمعون الأمر إليَّ لكي أذيل المنشور بالاسم الذي أراه مناسباً ، حيث إن المنشور كان قد تم إعداده ولم يبق سوى الاتفاق على الاسم الجديد للحركة . ووضعت في نهاية المنشور الاسم الجديد "الضباط الأحرار" هذا الاسم الذي عبر عن وجه الثورة الجديد . وتحت هذا الاسم سارت الثورة في مدارها إلى أن تحقق نجاحها في فجر ٢٣ يوليو . وحين نجحت الثورة دنا جمال عبد الناصر من خالد محيي الدين وقال له : إنه أمر يدعو للإعجاب حقاً هذا الاسم الذي أطلقه علينا جمال منصور وذيَّل به أول منشور في حركتنا يصبح الاسم لأقوى جماعة يتحدث عنها العالم كله الآن . " [1]

وواضح من رواية خالد محيي الدين وجمال منصور أن صاحب تسمية التنظيم بـ " الضباط الأحرار " هو جمال منصور ، وهذا يتناقض مع الرواية الأخرى التي

---

(١) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٤٠ ، ٤١.

تقول إن تسمية التنظيم بـ " الضباط الأحرار " كانت باتفاق جمال عبد الناصر مع الصاغ محمود لبيب.

وفي ذلك يقول عبد المنعم عبد الرءوف : " أنه بعد استدعاء البكباشي جمال عبد الناصر لمكتب رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي، وتوجيه الاتهام له بالانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين، وتدريبهم، اقترح علينا الصاغ محمود لبيب استبدال اسم تنظيم الإخوان الضباط باسم (الضباط الأحرار)؛ لإبعاد اسم جماعة الإخوان المسلمين، المكروهة من الملك، والأحزاب العميلة، والإنجليز."[1]

ومحمد نجيب ينسب لنفسه – أيضا– تسمية التنظيم بـ " الضباط الأحرار " فيقول في مذكراته : " ولا أريد أن أنسب لنفسي ما هو ليس لي ، ولكن الحقيقة تقتضي أن أقول : إنني أول من أطلق عبارة " الضباط الأحرار " على التنظيم الذي أسسه جمال عبد الناصر " . [2]

وأنا لا أرى تناقضاً بين الروايات الثلاث ، فقد كانت مصر واقعة تحت الاحتلال الإنجليزي ، وكان كل المصريين يرغبون في التحرر من هذا الاحتلال ، وكانت كلمات مثل : الحرية ، والتحرير ، والأحرار تجري على كل لسان ، وتسطَّر في كل الصحف ، ويتشدق بها الخطباء ، ويترنم بها المغنون ، وكان أكثر من تجري هذه الكلمات على ألسنتهم أصحاب التنظيمات السرية ، ولما كان هذا التنظيم الذي أسسه جمال عبد الناصر مكون من ضباط – فقط – فقد كان طبيعيّاً أن يصف هؤلاء الضباط أنفسهم بالأحرار ؛ لأن مهمتهم الأولى تحرير الوطن من

---

(1) خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة مقاتل من الصحراء " مرجع سابق .

(2) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٩١.

الاستعمار، والدفاع عن حريته لذا فلا عجب أن يكون اسم الضباط الأحرار قد جرى على لسان محمد نجيب في حديثه إلى ضباط التنظيم : جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ... وحَسَب رواية جمال منصور فقد كانت هناك عدة اقتراحات من الضباط حول تسمية التنظيم منها تسمية " ضباط الجيش الأحرار " ولعل جمال عبد الناصر صاحب هذا الاقتراح بعدما سمعه من محمد نجيب أو بعد حديثه مع محمود لبيب فحذف جمال منصور كلمة الجيش وبقي " الضباط الأحرار " ولم يعترض جمال عبد الناصر فليس ثمة فرق كبير بين " الضباط الأحرار " و " ضباط الجيش الأحرار " فإن كان الأول أسهل في النطق فإن الثاني أدق في التعبير عن التنظيم فكل الضباط كانوا من الجيش ولم يشترك ضباط البوليس في هذا التنظيم.

وعن رد الفعل تجاه المنشور الأول يقول خالد محيي الدين : "كل ما طبع من المنشور كان خمسمائة ورقة لكنها سطَّرت بداية جديدة لعملنا ونشاطنا ، بل وأدت إلى إحالة الفريق حيدر والفريق عثمان المهدي إلى المعاش . وعندما صدر المنشور الأول كان عددنا قد وصل إلى حوالي أربعين أو خمسين ضابطاً ، منهم حوالي ١٣ أو ١٤ تحت مسئوليتي في سلاح الفرسان ، لكن المنشور الأول دفع بنا خطوات كبيرة إلى الأمام وحققنا نفوذاً واسعاً وعضوية أوسع ومع هذا النجاح الباهر قررنا أن نصدر المنشور الثاني ، وأيضاً كتبه جمال منصور وأخذته إلى جمال عبد الناصر ووافق عليه . " [1]

أما صاحب المنشور الأول فيقول : " وفي اليوم التالي بعد الظهر ذهبت كعادتي إلى شقيقي سعد وإذا بي ألمح العربة الأوستن السوداء تقترب من المصنع

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨٣.

obeikandl.com

وتقف على جانب الطريق وينزل منها جمال عبد الناصر ويلقاني بين ذراعيه في عناق وهو لا يكاد يصدق ما حدث ويقول لي : ما كنت أتصور مثل هذا النجاح لأول منشور لقد أحدث مفعول السحر في قلوب الضباط وأنزل الرعب في قلوب المسئولين إن الناس كلهم يتحدثون عن " الضباط الأحرار " وعن هذه الحركة الثورية التي يعيشها ضباط الجيش . " [1]

وتوالى صدور المنشورات وعجز الأمن عن إيقافها أو القبض على مصدريها.

وكان استمرار صدور المنشورات، وتوقيع "الضباط الأحرار"، إعلاناً عن بداية مرحلة جديدة، بعد فترة امتدت خلال السنوات من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٤٩، عندما كانت تصدر للجيش منشورات من تنظيم الضباط الإخوان، وتنظيم الشيوعيين، بتوقيع (رجال الجيش) ومنشورات مجهولة كانت تُنسب للحرس الحديدي. ومنذ صدرت منشورات الضباط الأحرار، توقفت القوى السياسية عن إصدار منشورات خاصة بها، وكان هذا إعلاناً عن نوع من الوحدة التنظيمية . [2]

يقول خالد محيي الدين: "مع تواصل صدور المنشورات بدأت بعض الشائعات تحاول التهوين من أمرها، وتقول أنها تصدر عن مدنيين، من خارج الجيش، وأنه لا وجود لشيء اسمه "الضباط الأحرار". ولهذا، وبعد المنشور الخامس، بدأ الضباط الأحرار يفكرون في حيلة لإقناع الضباط بأن هذه المنشورات تصدر عن زملائهم، ومن بين صفوفهم. واهتدوا إلى حل لهذه المشكلة، فكان المنشور من صفحة واحدة، وعلى الصفحة الأخرى أصدرنا مجلة سميت "صوت الأحرار" وكانت

---

(٢) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٤٣.

(١) خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة مقاتل من الصحراء " مرجع سابق .

تحتوى على أخبار من الجيش، أخبار لا يمكن أن يتعرف عليها إلا الضباط، وكانوا ينشرون الخبر ويعلقون عليه" . [1]

ومع اتساع نشاط الضباط الأحرار كان من الضروري أن يعيد تنظيم الضباط الأحرار أنفسهم، وشكلوا لجان لمناطق القاهرة، رفح، الإسكندرية، وكل لجنة تمثل فيها الأسلحة المختلفة، وفي الوقت نفسه، كانت هناك لجنة قيادية، في كل سلاح. أي كان هناك محوران للقيادة: لجنة للمنطقة، ولجنة للسلاح. [2]

***

(٢) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٩٢.
(٣) نفسه ص ١٠٧ ، ١٠٨.

obeikandl.com